رسالة سامية إلى المؤتمر الدولي
حول العلاقات بين الإسلام وأوروبا

وجه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، يوم 17 محرم 1416هـ موافق 15 يونيو 1995م، بوصفه رئيس للقمة السابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ورئيس لجنة القدس، رسالة الى الندوة الدولية حول العلاقات بين الإسلام وأروبا التي انعقدت بستوكهولم بمبادرة من الحكومة السويدية.

لقد تم افتتاح اشغال هذه الندوة من طرف السيدة لينا هيلم والن تم وزيرة الشؤون الخارجية بحضور ستين شخصية مختصين في الاسلام وجامعيين وكتاب ودعاة من افريقيا وآسيا واروبا والعالم العربي.

وبهذه المناسبة، القى مستشار صاحب الجلالة السيد عبد الهادي بوطالب الخطاب الملكي السامي الموجه الى هذه الندوة .

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

أيها السادة والسيدات

يطيب لنا أن نتوجه إليكم اليوم بالخطاب في مستهل ندوتكم هذه المخصصة لبحث العلاقات بين الإسلام وأوروبا نزولا منا عند رغبة الحكومة السويدية التي ترعى لقاءكم هذا على أرضها والتي نتوجه اليها بشكرنا على مبادرتها وعلى دعوتنا للتحدث اليكم - بوصفنا ملك المغرب وأمير المؤمنين ورئيس المؤتمر الاسلامي ولجنة القدس - في الموضوع الهام الذي تتدارسونه والذي لا يخامرنا شك في أنكم ستنكبون عليه بكل نزاهة وتجرد.

وليس في نيتنا أن نقوم بجرد لعلاقات الدول الاسلامية بأروبا ولابسرد الاسباب التي كانت وراء فترات التباعد بين الجانبين التي عاشتها هذه العلاقات الممتدة في وئام وصفاء ما يربو على خمسة عشر قرنا وإنما نود - وبقدر الإمكان - إثارة انتباهكم

الى بعض ما نعتبره أساس سوء الفهم الذي طبع بعض التصورات والمواقف من الأديان الثلاثة ولاسيما منها الدين الإسلامي وكم نحن في أمس الحاجة اليوم الى تصحيحها واستخلاص العبر منها لخير البشرية جمعاء.

لا أحد منا يجهل القواسم المشتركة بين الديانات السماوية التي مكنتها لحسن الحظ من إنشاء إرث حضاري أخلاقي وإنساني موحد فضلا عن الجانب العقائدي المتشخص في الإيمان بوحدة الخالق.

فالانسانية في عصر الذرة والصواريخ والاكتشافات العلمية المذهلة وتوفر وسائل البناء والتعمير من جهة والهدم والتحطيم من جهة أخرى أحوج ما تكون الى رسالة السماء الخالدة تهدئ من نزوتها وتحد من جشعها لتجعل الإنسان يعيش بجانب اخيه الانسان شاعرا بالامن والطمأنينة حر التعبير عما يجيش بخلده واعيا ما يؤمن به من خير وإصلاح ما دام لا يهدد أمن الآخرين. لذا فنحن نتوق جميعا الى قيام إدراك أفضل وتقارب أوسع لعلاقات العالم الاسلامي والعالم الغربي عبر الفهم المشترك والاحترام المتبادل ورفض الأحكام المسبقة الجاهزة والانكباب على دراسة هذه الإشكالية من منظور واضح لتوفير أدوات صلبة ومتينة للتعارف والتواصل بين الاسلام والغرب وخلق جو الثقة التي تشكل بالنسبة لمحور نقاشكم الحجر الأساس اذا ما كنا نرغب فعلا في الحفاظ على التواصل بين الحضارتين ولعل في هذا ما قد ييسر إجابتكم على الأسئلة الثلاثة التي ستكون موضع نقاش ندوتكم.

أيها السيدات والسادة

لقد التقى الفكر الإسلامي بالفلسفة الغربية في مسارهما الطويل مرارا وخاصة في العصر العباسي والعصر الحديث والذي حدث كما تذكرون أن اعلام المفكرين الاسلاميين في العصر العباسي كالفرابي وابن سينا وغيرهما استوعبوا ما طرحه الفكر اليوناني عليهم وهضموه وتعاملوا معه بكل ترحاب بل استنبطوا منه قواعد وأسسا مبتكرة صالحة لهم كمسلمين ولغيرهم من المجتمعات سواء منها المتحضرة او النامية وارضوا طموح الفكر البشري في مجال البحث عن التجديد فأثروا مضمون المعرفة وطبعوها بالطابع الاسلامي الأصيل لأن توجه الاسلام توجه عالمي لا يقتصر على أغراض الدين فحسب ولكن يعالج أيضا شؤون الحياة دقيقها وجليلها ويتصل

بمعاملات الأفراد والجماعات وما يشمل جميع جوانب الإنسان من أدق خصوصياته وأسراره وأحواله وأطواره وأمانيه وأهدافه ونزعاته.

أيها السادة والسيدات

لقد كانت الدعوة الاسلامية في منطلقها الأول في بداية القرن السابع دعوة الى نظام عالمي جديد قوامه الوحدة : وحدة الجنس البشري بعيدا عن فروقات السلالة واللون واللغة ووحدة العقيدة ووحدة الرسالة السماوية ووحدة المقاصد والأهداف وهكذا جاء الاسلام بذلك دين سماحة أو نظام وسط وسلام وتسامح وتعايش يعتمد العقل والعلم ويتحاور بالتي هي أحسن في غير غلو ولا تطرف، يتجدد بتجدد الاجتهاد الذي هو مؤسسة لا تتوقف عن إغناء التشريع بالجديد. كتابه المنزل هو القرآن الكريم الذي أفسح المجال للرأي المضاد. فالله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله محمد (ص) ويقول: «ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ».ويقول في آية أخرى: «وإن جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون». ويقول أيضا الله يحكم بينكم يوم القيامة في ما كنتم فيه تختلفون. وفي هاته الآيات يتكرر الأمر من الله لنبيه سيدنا محمد (ص) ولامته بالجدال والحوار بالحسنى مع مخالفيهم في الدين.

وقد أكد الحق سبحانه في كتابه المبين أن إيمان المسلم لا يكتمل الا بإيمانه بالله وبملائكته وجميع كتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وطبق الرسول (ص) الحوار مع نصارى نجران حيث تلا عليهم سورة آل عمران التي نزل فيها النداء العالمي للتعايش بين الديانات السماوية «قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله» ولم يزل المسلمون على ذلك يقارعون الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان عملا بقوله تعالى قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين».

إن الإسلام يعتبر إذن الإيمان بكافة الرسل الأوائل وبكتبهم المقدسة ورسالتهم السماوية من عمق العقيدة الإسلامية ونكران رسالة اى رسول خروج عن الإسلام فلا مجال ـ والحالة هذه ـ أن يضيق المسلمون ذرعا بحوار ما ولا سبيل لان ينعتهم غيرهم بضيق الصدر والعزوف عن الحوار مادام دينهم الإسلامي يقر بان الاختلاف بين الناس من سنن ربهم في الكون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ومادام دستورهم ـ القرآن

الكريم - يحدد العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين على نحو ما جاء في الآية التالية: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين». ومادام قد خطط لهم أسلوب الحوار بقوله: «ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن».

والمرجو أن لا ينظر الى الاسلام والمسلمين بمقاييس مشبوهة مغلوطة بدات تنطبع - للأسف - في الأعوام الأخيرة في ذهنية الغرب عن الإسلام والإسلام منها براء وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا إن هناك من ينفخ فيها ويزكيها اما عن قصد أو عن جهل وهؤلاء في أغلب الأحيان يلبسون الحق بالباطل أو يكتمون الحق وهم يعلمون.

إننا نود أن نغتنم لقاءكم هذا فرصة سانحة أخرى لنؤكد موقفنا الواضح الثابت من نبذ العنف وإدانة التطرف والإرهاب والدعوة الى سلوك منهج التحاور والتخاطب والتشاور لإيجاد القواسم المشتركة والأرضية الصالحة لتعايش حضاري عالمي يضمن ممارسة الشعائر الخاصة بكل فئة على حدة ويقيم دعائم السلام والطمأنينة بين النفوس وفق التعاليم الإلهية ومن حسن الحظ أن تكون المجموعة الأوروبية كلها مشبعة بروح المسيحية واليهودية وهما دينان لا يكن لهما الإسلام الا كل التقدير والاعتبار.

وانطلاقا من هذا الواقع فإننا على يقين إنه ليس هناك مشكل اسلام في اوربا وانما عقدة المشكل تكمن في تراكمات ومخلفات للفترات الاستعمارية التي عاشتها الدول الإسلامية بوصفها جزءا من العالم الثالث بكل اوجهها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتي زادت حدتها بمرور الأعوام والسنين تكرست فيها الفوارق بين مستوى عيش الشعوب وقد آن نستدبر هذه المرحلة من تفكيرنا كمرحلة استنفذت أغراضها الى غير رجعة لنستشرف افاق مستقبل واعد بالتعاون والتفاهم بدون مركبات نقص أو استعلاء وبدون خلفيات مثقلة برواسب الماضي كما اننا ندعو ان لا يتحول هاجس الخوف من الخطر الشيوعي - الذي كان يقلق الغرب الى حين سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفياتي - الى هاجس تخوف من انتشار الاسلام باوروبا كما يبدو عند بعض منظري الغرب فالاسلام الصحيح لا يشكل على أوروبا خطرا ولا يحمل لها أذى أو ضررا ولاشيء فيه يبرر أن يكون عدوا أو ان يتهم اهله كلهم بالتطرف والإرهاب ورفض الحوار وهو الدين الذي ينبذ العنف ويقاومه وفق ما أشرنا إليه إننا

تدعو الأوروبيين الى إبداء المزيد من التسامح والنزاهة تجاه الاسلام وقبول التعامل معه كدين سماوي مسالم كما هو في حقيقته.

وإن التاريخ قد أنصف هذا الدين وأهله عندما سجل ما تميز به الحكم الاسلامي من سماحة مثالية طيلة عهد وجود المسلمين بالأندلس وبالقدس الشريف حيث تعايشت الأديان السماوية الثلاثة في ظل الحكم الاسلامي جنبا الى جنب في احترام متبادل طبقا لتعاليم الاسلام الحقة.

أيها السادة والسيدات

إن التطورات السياسية والتقلبات الاقتصادية والمالية والتحولات الاجتماعية التي عرفها العالم والدول المصنعة بالخصوص والتي لم تتمكن الدول النامية من مواكبتها للأسباب التي تعلمون قد حالت دون توفر عدد من مواطني دول العالم الثالث على الشغل في أوطانهم وأرغمتهم على الالتجاء - ولو مؤقتا - الى اوروبا وغيرها من باقي القارات حيث اسهموا بسواعدهم وعرقهم وفي كثير من الأحيان ببحوثهم العلمية في دعم اقتصادياتها دون أن يحول ذلك بينهم وبين حنينهم وتطلعهم الى العودة الى ديارهم ولا بينهم وبين تشبثهم بدينهم الذي ارتضوه لانفسهم وتعلقهم باوطانهم ومقدساتهم ودون إغفالهم كذلك عما يفرض عليهم واجب الإقامة والضيافة في مجتمعات غير مجتمعاتهم الاصلية لها هي الاخرى دياناتها وخصائصها ومقوماتها.

طريق الحوار هو وحده الأسلوب الصالح

وإذا كانت الأجيال الاولى من هؤلاء المهاجرين المسلمين قد استطاعت أن تتكيف مع ظروف الشغل والإقامة بأسلوب أو بآخر فإن الأجيال الصاعدة من أبنائهم وذرياتهم تتطلب منا جميعا دولا وشعوبا أن نواجه أوضاعهم بالعناية اللازمة وأن ننكب على قضاياهم بكثير من العناية والاهتمام لكي لا يسقطوا في الضلالة فريسة لذوي الاهواء والشهوات من المشبعين بروح التعصب والعنصرية ولن يتم لنا ذلك كدول منشأ أو دول استقبال الا اذا أحسنا اختيار تأطيرهم وإحكام تربيتهم وتعليمهم وربطهم بهويتهم والا اذا أخذنا بايديهم لمواجهة معتركات الحياة بجميع أعبائها ومسؤولياتها وتفاقم مشاكلها في عالم لا يرحم أصبحت الماديات فيه تطغى على الروحيات وتكاد تنمحي منه القيم المثلى.

ونحن نؤمن كل الإيمان بأن طريق الحوار هو وحده الأسلوب الصالح في هذا المجال كغيره من المجالات الأخرى وانه الخليق بمعالجة ما ينجم عن مقام ملايين المسلمين خارج أوطانهم من مشاكل ويطرح من صعوبات على اساس الأخذ بالراي والراي المضاد واحترام المعتقدات دون إجبار أو إكراه مصداقا لقوله تعالى في خطابه لرسوله محمد (ص) ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا.

أفانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وفي قوله عز من قائل يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم وطبقا للاعلان العام للحرية الدينية الذي جاء في هذه الاية لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.

وأملنا وطيد في أن تسفر اعمال مؤتمركم هذا عن قرارات وتوصيات ترقى الى اتساع افق جميع المشاركين في أعمالكم لاحقاق الحق والقبول به دون تعصب ولا تحيز وللتركيز على ما يجمع بين الديانات السماوية لا ما يفرق بينها.

اما الحوار بين الاسلام والديانات والحضارات الاخرى فهو قائم وسيظل قائما سواء في اوروبا أو في غيرها من بقاع الارض ولذلك نتطلع الى أن يكون حدث اقامة مؤتمركم هذا بداية لعهد جديد يتم فيه التصالح ان لم نقل التفاهم الاسلامي المنشود مع قارتكم الاوروبية.

وفقكم الله وكلل مساعيكم بالنجاح. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.